نعمان ابي ناضر

١٨٧٧—١٩٢٤

بقلم جرجي ابرهيم نصر

الطموح في النفس مزيّة فريدة لم تنشأ في النفس منذ الطفولة ، تقذفه الى مسرح الحياة ، فتعزّز فيه الإرادة والعزيمة ، وتدفع بـه الى الجهاد ، وقوّة التوليد والإنتاج .

وُلد رحمه الله في بكاسين في ٢٠ من كانون الثـاني سنة ١٨٧٧ من ابوين كريمين يوسف[1] بن جليان منصور ناضر ابي ناضر وحبقة بنت غيث يوسف ابي شاهين ، وتلقّى علومه في مدرسة القرية وأتمّها في المدارس الخاصّة ، وكان ذكيًّا مجتهداً ، ترعرع في جوّ حبّب اليه مطالعة سيَر الأقدمين ، ومراجعة أقوال الكتّاب البليغين ، والشعراء المبدعين ، متنقّلاً من حلقة الى حلقة ، فأخذ منها درساً وخبرة ، زادت قوّته الأدبية في الحياة .

وكان والده يوليه عناية خاصة لما رآه فيه مـن الاجتهاد والتحصيل ، فبذل في سبيل غايته وهوايته ، كل ما يعوزه من مساعدات أدبية ومالية .

(١) وُلد في بكاسين سنة ١٨٢٧ وتوفي فيها سنة ١٩٠٥ وكان رجلاً فاضلاً ، كريم الخصال ، محباً للسلام والوئام ، لم يحدث اختلافاً بينه و بين أحد مع وفرة علاقاته المالية .

إلاّ أن عصره كان عصر جمود وانحطاط وتخلّف ؛ لكن مثابرتـه واجتهاده جعلت منه كاتباً وأديباً ؛ ولفرط ذكائه وضميره . أقبل على درس الشرائع على نفسه ؛ ثم على يد اخصائيين ؛ وزاولها في وطنه ؛ وكان من القلائل الذين تخصّصوا لهذه المهنة في لبنان ؛ في ذلك العصر المظلم ؛ ووقف في وجه الظالم . ترأس سنوات اخوية القديس مارون في بكاسين فعمل على نهضتها ثم هجر الوطن الى وادي النيل حيث تعاطى التجارة ؛ فأحرز سمعة عاطرة. وكان على قلّة ما حصّله من العلوم ، ذا نزعـة صحفية ؛ فاتخذ الكتابة هواية لا صناعة . وكان وهو في مصر ، يراسل جريدة « البشير » البيروتية . وينفحها بمقالات تنمّ عن نزعته الصحفية ، من حيث روحها وصياغتها . وتواصلها بأدقّ الأخبار ، والحوادث العالمية ؛ وأبدى كثيراً من الآراء السديدة ؛ بعبارة رشيقة جامعة ؛ وكان الى جانب ذلك يهتمّ في تأييد المؤسـات العلمية ؛ وانشاء الجمعيات الخيرية ؛ ومساعدة المحتاجين ؛ وخدمة وطنه والنازحين منه . كما ألقى بعض الخطب الوطنية التوجيهية ؛ فكان لها التأثير المطلوب .

وقد تجلّى شوقُه وحنينه الى وطنه لبنان ، بعد عودته منـه الى مقرّ أعماله في مصر ؛ اذ جاء في رسالته المنشورة في جريدة « البشير » بتاريخ ٢٥ ايلول سنة ١٩٢٣ ما يلي :

« عدتُ من لبنان الى هذه البلاد الجميلة (مصر) الى أشغالي ، ولكن أفكاري لا تزال موجّهة نحو الوطن المحبوب ، وهوائه النقي ، ومياه العذب ؛ ومناظره الفتّانة » .

وظلّ يواصل جريدة البشير ، مدة طويلة من الزمن بالأخبار الدولية ، والحوادث العالمية ، حتى قضى الى ربه في مصر في ٧ آب سنة ١٩٢٤ بداء السكّري ؛ مذكوراً بالحسرة والأسف .

وقد كتب الأب لويس معلوف مدير جريدة البشير وقتذاك كلمة أطرى فيها جهاده ، ووفاءه ، وعلمه ، وأدبه ؛ ومزاياه الفريدة ، وغيرته الدينية ، ونوّه بخبرته السياسية ، واطلاعه على مجرى الحوادث ، والأحوال العالميـة

ذات الشأن ؛ والإسراع الى مراسلة « البشير » بكل ما يهمّ الاطلاع عليه من معلومات تدل على بُعد نظره ؛ وواسع اطلاعه .

وقد اشتهر رحمه الله : ببُعد النظر ؛ وعلوّ الهمّة ؛ ورقّة الطبع ، ولين الجانب ، وإسداء المعونة الى المحتاجين .

ومن آثاره الأدبية : مقالات علمية ، وسياسية ، ومباحث تاريخية ، عبثت بها أيدي الجهل ؛ وشعرٌ قليل نذكر منه القصيدة التالية ؛ التي أبقاها الزمن ؛ وصف بها لبنان وصفاً رقيقاً وهذه هي :

لبنان موطن صبوتي وغرامي ... ومنارةُ الأمجـــاد والأقوام
وبأرضه نبتتْ أزاهيرُ الربى ... من سندسٍ وزنابقٍ وخزام
فيه الشقائقُ والورود تعانقتْ ... كتعانقِ الأرواح والأجسام
يا لائمي في حبّ لبنان اتّئدْ ... دع عنك عذلي في الهوى وملامي
هو كلّما جالَ الحنينُ بخاطري ... فيه الشفاءُ لغلّتي وأوامي
فيه نسورٌ للبلاغة حلّقوا ... فوق السهى ، بالعلم والإقدام
هو أرضُ وحطِ الأنبياء ورسله ... وطنُ الخلود ومهبطُ الإلهام
يا موطن البهجات حسبُك انني ... ما رمتُ غير هواكَ أيّ مرامي
ورضعتُ ثديَ الحبّ إلاّ أنني ... للآن لم أظفرْ له بفطام
أشتاقُ طيفَك كلّما طال النوى ... وتطيبُ فيكَ منيّتي وحمامي

دعاني الى نشر ترجمة هـــذا الأديب المغمور ، وكشف الستار عن حياته ، ما رأيته من تنكّر له من بعض الأدباء الذين عاصروه ، ورافقوه في مختلف أدوار حياته وجهاده ، وعرفوا ما امتاز به من صلابة عود ، وأدب جمّ ، وخدمة مجرّدة ، وخلق رفيع ، واحترام لرجال الدين .

ولنا الأمل الوطيد: انه بنشرنا هذه النبذة المقتضبة المتواضعة عن سيرة هذا الرجل الأديب ، نكون قد عرّضنا عن التقصير والإجحاف اللذين خنّا به ، وأدّينا بعض الواجب الوطني نحو رجال خدم العلم والصحافة حقبةً طويلة ، ومضى الى ربّه ، طاهر النفس ، قرير العين. رحمه الله .